باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحناه ترضياً لمعارف وانهاضاً لهمم وتشحيذ للاذهان. ولكن انهدة فيما يخرج فيه على اصحابه نحن براء منه كله . ولا نخرج ما خرج عن موضوع المقتطف ويراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيما كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قل ودل . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطولة

بين العصرتين ضوط والكرملي

١ — أعريبات ؟ للعلامة الاب انستاس الكرملي

إني من الذين يقولون : « ان المرء اذا كتب في موضوع ، فلا حاجة لهُ الى ان يعود اليهِ ليجادل من يخالفهُ فيهِ » اذ لكلّ باحث رأيٌ خاصٌ بهِ ، وقلما يحول عنهُ ، ولاسيما اذا كان ذلك الرأي مستنداً الى ادلة علمية في نظره

وقد كنتُ قد قلتُ بأن « الاديب » و « الخليفة » و « قريش » من الحروف غير العربية النجار . وهناك ألفاظ اخرى تشبهها بثوبها العربي لكنها دخيلة الجوهر او المادة

فقام غير واحد من ارباب اليراع وحاولوا نقض ما بَنَيْتُ ، إلاَّ إني لم اقفّ على مقالاتهم لاني قلتُ في نفسي : إنَّ الكاتب اما ان يذهب الى مذهبي واما ان يخالفهُ . فان كان يصوّبُ ما ارتأيتهُ فلا حاجة لي إلى مطالعته ، وان كان ممن يخالفني ، فلقد قرأت مثل هذه المخالفة في مصنّفات اللغويين الاقدمين شيئاً كثيراً . إذن فالصمتُ بالوقت احسن . وهكذا لم اطالع ما كتبهُ حضرة الاستاذ الكبير جبر ضوط ، ولا ما أتى بهِ حضرة الكاتب المبدع السيد مصطفى صادق الرافعي . ولما انبرتُ في مقالي الآخر الى أنَّ بعضهم اقاموا القيامة عليَّ ، فكان تلميحاً الى ما نفثهُ اقلام جماعة من ابناء وطني العراق ، إذ قابلوا فكرتي في أصل تلك الالفاظ بالشتم والسبّ والاهانة ، بل هدّدني بعضهم بالقتل اغتيالاً على ما سمعت وعلى ما جاء مسطوراً في رقعة أُنفذت إليَّ بالبريد

اما هذه المرة فان اخصّ اصدقائي واخلصهم وُدّاً كتب اليَّ ليوجّه نظري الى ما

يأتي في هلال (مايو) من هذه السنة ، فليتُ طلبه وطالعتهُ من الاول الى الآخر فلم اجد فيه شيئاً طريفاً ولا مقنعاً وعلمت ان من نشأ على فكر يعزُّ عليه ان يتركهُ . وعندنك الاسباب التي لا تحملني على ان اوافق الاستاذ ضومط في رأيه ، وضومط ذاك الرجل العظيم الذي اجلّه اعظم الاجلال

قريش

لما قلت ان لفظة « قريش » غير عربية الاصل ، كان ذلك رأيي الخاص بي ولا أعلم أسبقني اليه سابق ام لا

أما الدليل الذي اعتمدتُ عليه فهو ان في الالفاظ القديمة العربية من اعلام ونكرات حروفاً دخيلة في العربية . ففي نسب قريش مثلاً الياس ، والياس صورة يونانية «لإِلِيَّا» الإِرَمِيَّة او « إِلْياهو » العبرية . فترك السلف لغة الساميين وتمسكوا بلغة اليونانيين . وما ذلك الا لقرب مادتها من المادة العربية وخفة وزنها . والقائل بانها عربية كالقائل بان الترك والكرد وجميع امم الارض عرب . وهناك غير الياس من الاعلام التي اتخذها العدنانيون كإِدْرِيس ، وابراهيم ، واسحق ، ويعقوب ، وعليّ ، ويونس ، الى غيرها

واما وجود النكرات في لساننا فهذا أشهر من ان يذكر وقد صرّح به حتى من كان اشدَّ الناس تعصباً للعروبة . وهل من عجب ان تسمّى قريش باسم من اصل أعجمي وقريش تنتمي الى أبيها النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن «الياس» ابن مضر . و« الياس » كما رأينا اعجمي ، ثم ان الذي يزيدني ثبوتاً في هذا القول ان بعضهم حكى في تسميتها عشرين قولاً (التاج) فلو كان سبب التسمية عربياً محضاً لما نشأت كل هذه الآراء . ومن جملة هذه الاقوال انها سميت قريشاً بمصغر القرش وهي دابة بحرية تخافها دواب البحر كلها (القاموس)

ووزن القرش ، ومادتها ، واشتقاق الفاظ منها ، كل ذلك لا يمنع ان تكون اعجمية ، واعجمية يونانية . وذلك لان اليونانيين من ديار تحيط بها البحار من كل جانب ، فهم يحاربون ويحاربون بما في البحار أكثر من سواهم ، واللفظة ترى في لسانهم من قديم العهد ، فقد ذكرها صفرون السرقسطي الصقلي [وكان عائشاً في نحو سنة ٤٢٠ قبل المسيح] وصرح بكلامه عن القرش آثينيا القراطي (في ٧ : ٣٠٦ وفي مواطن اخرى) . ومعنى اصل القرش في اليونانية الحادُّ الاسنان وهو يوافق هذا الوحش البحري . اما القرش فيصعب توجيهها في لغتنا الى مادة توافقهُ

اما اذا لم يرض حضرة الاستاذ نسبة هذه القبيلة الى السمك المذكور ويذهب الى

انها سميت بالقرش بمعنى الجمع من ههنا وههنا ،والكسب والتجر قلنا : وهذا يناسب ان يكون من الرومانية (اللاتينية) قُرْش Commercium بميم بين القاف والراء ومعناه ما يريد. وكانت قريش تتجر بوميئذ مع الشام ولغة الشاميين يومئذ اليونانية والرومانية . ثم نقلت «قُرْش» الى «قرش» تخفيفاً. وسبب اصرارنا على القول بعجمتها ان سائر اللغات السامية لا تعرف القرش بالمعاني التي اوردها حضرتهُ وغيره من اللغويين الاقدمين . فالقرش من هذا القبيل تشبه « الفيل » في عجمتها وحالها ووزنها ومادتها والمشتقات منها، اذ كلها على مثالها وان اختلفت حروفها .وقد سُمُّوا بالفيل رجالاً ، كأبي الفيل و« فيل» مولى زياد، والفيل البشكري . الى غيرهم، مع انهم كانوا في مندوحة عن اتخاذ هذا اللفظ الاعجمي ، لما عندهم من مرادفاته الكثيرة،ومع ذلك لم يغفلوا إذ وجدوا في هذه الكلمة الاعجمية خفة ورشاقة ومشابهة لما عندهم ما حبَّبتها لهم . وكذلك القول عن القرش

اما ان وجود الشيء في بلاد السلف يمنعهم من ان يلجأوا الى اتخاذ الفاظ ليست في لسانهم، او يمنعهم من اتخاذ الفاظ اعجمية ، فليس ذلك دليلاً قويًّا ،اذ السلف قد جمع بين الدخيل والفصيح لاسباب كثيرة لا محل لاستقصائها هنا.وكفى نسفاً لهذا الدليل ان نعرف أن ليس من شيء اشهر من الشمس والقمر ومع ذلك فان الاقدمين منا اتخذوا الالفاظ اليونانية للدلالة عليهما . قال صاحب « لسان العرب » في كتابه « ثمار الازهار » حين يذكر اسماء القمر ما هذا نصهُ : « . . . والسَّلِيني وهو اسمهُ باليونانية وقد تكلموا به »اه. وقال في ذكر اسماء الشمس : « . . . وايليوس وهو اسمها باليونانية وقد تكلموا به » : فنسأل الاستاذ الجليل: ما معنى أن السلف لفظوا باليونانيتين وعندهم عشرات من الالفاظ الدالة على النيرين المذكورين ؟ إذن وجود الشيء عند آبائنا لا يدل على انهم لا يقتبسون من مجاوريهم شيئاً من حروفهم ولغاتهم، كما انهُ لا يكرههم على وضع الفاظ صرفة لها،وعلى عدم استعمال الدخيل في كلامهم . فاتخاذ هذا الاعجمي كان مرضاً في عقول بعضهم ،على حد ما يرى من امثالهم في هذا العهد. وهناك داء آخر ولع فريق من الكتبة باتخاذ الحوشي في ترسلهم ، وطائفة اخرى منهم باستعمال العامي المبتذل في حين انهم في غنى عنهُ

إذن : قد تجتمع صحة العربية وداؤها ، والالفاظ المحضة والدخيل في زمن واحد، لكن لا في شخص واحد ، بل ربما وقع هذا الامر أيضاً نسلة في دماغ الكاتب ، لايمكنني ان اعرفها ، ولعل الاطباء يعرفونها . وهذه سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا

اطلنا الكلام في هذه الكلمة لان امثالها كثيرة ، ولان الادلة على نقض ما يعن في الخاطر هي على هذا القرار . جئنا الآن الى لفظ

الخليفة

مادة هذه الكلمة عربية، والاشتقاق عربي مقيس، والوزن عربي محض، ومع ذلك نقول: ان الكلمة غير اصلية في لغتنا، لان نظام قوة « الخليفة » بمعنى رئيس القوم في الدين وغيره والقائم بالامور مقام الرئيس الاصيل النائب عنهُ، من الامور التي اختص بها الاغريق والرومان. ولهذا نرى الفاظاً عديدة تدل على الرئاسة وهي مأخوذة من الاقوام غير العربية المجاورة لاجدادنا. ولما نقول « ألفاظاً » نجمع فيها ما يتعلق بالدين والدنيا على السواء. فأمثال الدِّينيَّات: الجاثليق، والبطريرك والاسقف، والمطران، والجَمْقَليون والساعود، والسطوس، والاييل، والحبر، والصير، والرباني الى غيرها. واما الدُّنيويات فاشياء: الدقس، والدقوس، والدعوس، والطوس، والقدوس، والداقوس، والسرسور والزرزور، والزرزار، والزردار، والزرداو، والسقسير، والسقسار، والقسطار، والاطربون، الى غيرها وتمدُّ بالعشرات. فهذه كلها ليست من العربية في شيء. وان وجَّه لها اللغويون وجوهاً عربية

اذن الخليفة من هذا القبيل. اما ان الامام الثعالبي كان قد سبقني الى هذا المقال فكنت اجهله. واظن ان جعله الخليفة بين الالفاظ الفارسية لا يدل على انها فارسية الاصل حقيقة بل اعجمية. مهما كانت تلك العجمة فارسية النسب صريحة الايرانية أم غير ايرانية كاليونانية او الرومانية أو العبرية او الارميَّة، اذ رأيتُ بين تلك الكلم التي اوردها الامام الثعالبي ما يرجع بعضها الى لغة وبعضها الى لغة اخرى اعجمية من اللغات التي ذكرناها

وهنا نعيد بعض الادلة التي ذكرناها في لفظة « قريش » في ان وجود الشيء عند سلفنا العرب لا يمنعهم من اتخاذ الفاظ اعجمية للدلالة عليها

بلغنا الآن الى اللفظة التي قامت قيامتها وقعد حضرة الاستاذ الكبير وهي:

الاديب

واول كل شيء اني لا اجيب على كلمات او عبارات الهزء والسخرية التي جاءت على قلم حضرة الاستاذ فهي وان كان لها محل ومفيدة في بعض الاحوال فليس الآن محلها هنا ولهذا اغضّ الطرف عما وجههُ اليَّ من الالفاظ القارصة. بل أذهب توًّا الى موضوعي واقول: ان سيدي الاستاذ ينقاد للانخداع بسهولة لا مزيد عليها لانهُ لا يحكم الا على الظواهر، وقلما يمدّ نظرهُ الى بواطن الامور. ان « الاديب » في نظره عربي

لان منهُ « الادب والمتأدب وادّبهُ وتأدب » الى غيرها . ولي ان الكلمة اذا عربت حق تصرف لنا ان تصرف فيها اللفظة العربية المحضة

هذه كلمة « المسك » بمعنى المشموم المشهور فانا نشق منهُ مسّكهُ تمسيكاً ودواء تمسّك وتمسّك الرجل الى غيرها من الاشتقاقات . فهل يُقال يا ترى انها عربية وقد اجمع اللغويون على انها اعجمية صرفة ؟ نعم ، حينما لم يَبْدُ لهم وجه التعريب ، لم يقولوا بعجمتها لكن اليوم ذهب مدّعي البعض من المستعربين وقام النقدُ مقام النقل ولا يفيدنا بعد الآن : قال شيخي ، ونص فلان . إن النقل يذوب امام النقد كما يذوب الشمع بين يدي النار . فيا استاذي ان «الاديب» غير عربي مهما كان وزنهُ واشتقاقهُ ومادتهُ . والسبب : ان معناهُ يدل على اتقان في الحضارة لم تتهيأ يومئذٍ للسلف . ومن «الاديب» ولدت سائر المشتقات على حدّ ما تُرى اشباههُ في المسك وغيره من الحروف التي لا تحصى كالكيّس (الذي منهُ الكياسة) والترف ، والظرف ، ونحوها وان لم يذهب الى القول بعجمتها بعضهم او كلهم . فكل ذلك لا يغير من اجنبيتها بشيء

واغرب ما جاء في رد حضرة استاذي انهُ يحيلني على مطالعة بعض اسفار التوراة لورود « الادب والاديب » فيها . وانما يفعل مثل هذا إذا كان النصُّ اصليًّا صحيحاً ، والحال ان الاصل عبريّ العبارة ولا ورود للادب بالمعاني التي يشير اليها ومتفرعاته في تلك المنزلات . فكيف ساغ لهُ ان يحيلني عليها ؟ ولو نقل لي احد ان الاستاذ جبر ضومط يقول ذلك القول لما صدقتهُ ، لاني أُجلّهُ عن ان يتوسل بهذه الوسيلة إلى اثبات مدعاهُ لكن اسمهُ الصريح في ذيل المقالة يؤيد لي ان الناطق بتلك العبارات حضرة استاذي حفظهُ الله . فلا اعلم كيف اجمع بين علمهِ الغزير وبين هذا الرأي القطير الذي انزههُ عنهُ ؟

نعم ان كلمة الادب وردت في نصّ التوراة العبرية (راجع سفر الملوك الاول ١ : ٣٣) لكن بمعنى الذوب والذوب من الاسى . وورد في سفر الخلق (٢٥ : ١٣) وسفر الايام (١ : ٢٩) اسم ولد من ولْد إسمعيل يعرف بأدبئيل والمفسرون قالوا في معناهُ انهُ مشتق من الأدْب (بفتح فسكون) اي العجب فيكون مؤداهُ أعجوبة الله . هذا اقدم ما جاء عندنا من النصوص التي تذكر لنا الادب ، اي انهُ بمعنى العجب . وعندنا ان العجب تصحيف الادب من باب تفخيم الحروف فانهم جعلوا الهمزة عيناً من باب المضغة ثم لفظوا الدال جيماً على لغة اخرى كما قالوا في الابل : ابلج ، وفي دئ : جئ ، وفي الدفة : السجفة ، وفي دهوره : جهوره ، الى غيرها . وهنا لا اتعرض لتأويل التي أتى بها لتأييد مدعاهُ ان الادب مشتق من معنى الدعوة . اني لا اظن انهُ يقبل رأيهُ هذا اذا ماخلا إلى شيطانهِ

ألا يرى القارئ ان تلك الادلة التي ابتدعها حضرة استاذي لا تماسك ولا تناصر، فكيف يريد ان يقنع بها ابناء هذا العصر، ابناء النقد والتحليل والتحليل ؟

ألم يقرأ ما كتبه الاستاذ الدكتور طه حسين في كتابه «في الادب الجاهلي» ص١٩ من الطبعة الثانية اذ يقول : « فليس لنا من النصوص او القرائن العلمية الواضحة ما يبين لنا ان لفظ « الادب» قد اشتق من الادب » بمعنى الدعوة الى الولائم، او قد اشتق من الأدآب جمع دأب . ولكن الشيء الذي لا شك فيه هو اننا لا نعرف نصًّا عربيًّا جاهليًّا صحيحاً ورد فيه لفظ الادب والشيء الذي لا شك فيه ايضاً هو اننا لا نعرف ان لفظ الادب قد ورد في القرآن . وكل ما نعرفه هو ان هذه المادة قد وردت في حديث مهما يكن رأي المحدثين فيه فليس هو بالحجة القاطعة على ان النبيَّ قد استعمل هذه المادة وهذا الحديث هو قوله صلى الله عليه وسلم: « ادبني ربي فاحسن تأديبي » هذا الحديث لا يثبت حكماً لغويًّا الا اذا ثبت ثبوتاً لا يقبل الشك او كان من الراجح على اقل تقدير انه صحَّ بلفظه عن النبي . ولكننا بعيدون عن هذا كله . فنستطيع اذن ان نقول في غير تردد : أن ليس لدينا نص صحيح قاطع يثبت ان لفظ « الادب » وما يتصرف منه من الافعال والاسماء قد كان معروفاً او مستعملاً قبل الاسلام او ابان ظهوره ». اه بحروفه

اذن : « لا نرضى لك بما ذهبت اليه فيه ، ولكنها كبوة هيهات ان يخلو جواد من مثلها وان سلك الجدد »

٢ — اداة التعريف في التاريخ للعلامة الاستاذ ضومط

يسرنا في مقالة العلامة الاب انسطاس الكرملي في مقتطف فبراير (شباط) المارّ انه يختمها بقوله — كما ذكرناه خواطر مرّت في سماء الفكر ونحن لا نجزم بها ومَن احبَّ ان يدحضنا او يردّنا فليأتنا ببيّناته وادلّته على ما قلنا . ونحن اوّل من يتّهم نفسه اذا ما رأى شعاع الحقّ بادياً في كلام الخصم انتهى : — ونحن لا ننكر على الاب عباراته هذه من جهة ما فيها من المخلاّت بالبلاغة . ولكننا ننكر عليه ان يحسب مَن يناقشه آراءه خصماً له . نعم انّ بعض مَن يردّون علينا اقوالنا يردّونها لانهم اخصامنا ولكنّ بعضهم قد يكونون من احبّ احبائنا واخلص اصدقائنا . ولو انّ الاب المحترم عدّل من حدّته فيمن تصوره يردّ عليه بعض ما جاء في مقالته هذه النفيسة في موضوعها لكان اجدر بعلمه وفضله ومكانته الادبية الرفيعة بل كان اجدر بفضله لو استغنى عن ذ

الخاتمة بما جاء به في مقدّمة المقالة مما يقع في اسماعنا وقلوبنا موقعاً خليقاً بسمو الاب وفضله

ايها الاب المحترم نحن لا نوافقك على اغلب ما ارتأيته في اداة التعريف ولكنا لسنا من اخصامك وما كنا الاّ من المخلصين لك ولا نزال . لكن كان يسوءنا منك ظهورك مظهر المتندّ بفضله وفضله ظهوراً ما كان يخفى على معظم قرّاء مقالاتك وفي الوقت نفسه كانت كانما يشوبها اظلال من الاستخفاف بكل رأي يخالف رأيك كانك من الذين خصوا بالعصمة

ايها المحترم نوافقك في أنّ همزة « ال » محوّلة عن الهاء لانها اخفّ على النطق ولكنا لا نوافقك في انها مقتطعة من فعل لا وجود لهُ الآن وهو فعل الوجود البرائي . واما قولك انهُ كان عندنا في سابق الازمان فيجوز ايضاً

كل هذا لا نعارضك فيه لانهُ من الجائز الممكن . واما ما أقمتهُ دليلاً على انّ هذا الفعل كان عندنا في سابق الزمان وأنّ « ها » التعريف مقتطعة منهُ فلا نوافقك فيه ولا نظنُّ احداً من علماء الفيلولوجيا يوافقك عليه ولعلك لا تخاف معارضةً من احدٍ في كل ما تُغرب به من محاولها ولو كان اشدّ من اغرابك في « النكاليّ » وردّه الى الاصل العربي « لاح » واليك ما قلتَ بالحرف الواحد تحت رقم (٢)

ولكن من اين اتت تلك الهاء في اللغتين الساميتين . الذي عندنا انها مقطوعة من فعل لا وجود لهُ الآن في العربية وهو هَـوَه يَهْوَه[1] او هيه يهيا ومعناهُ وُجد يُوجَد (بصيغة المجهول) ولا جرم ان هذا الفعل كان عندنا في سابق الازمان والدليل ما بقي من اثره وهو الضمير الغائب في المفرد والمثنى والجمع في المذكر والمؤنث اي هو ، هما ، هم ، هي ، هنّ ، ومعناهُ في اصل وضعه موجود ، موجودان ، موجودون وقد صارت هذه الضمائر الى حرف واحد في قولك هذا ، هذان ، هولا . . . وهذا الحرف سماهُ نحاتنا هاء التنبيه كما سموا تلك الهاء هاء الضمير . اما الحقيقة فان لكليهما اصلاً واحداً هو الفعل المات المذكور انتهى ما قاله الاب

ايها الاب العلاّمة يُفهَم من القطعة التي نقلناها عنك ان الفعل هوه يَهْوَه او هَيَه يَهْيَه (الفعل الدال على الوجود) متقدّم على الضمير لان الضمير مقتطع منهُ ثم تقول ان « الهاء » في هذا ، هذين ، هؤلاء مقتطعة ايضاً من ضمير الغائب اذن هي مقتطعة من الفعل المات المذكور وان نحاتنا سموا هذا الحرف هاء التنبيه جهلاً منهم للحقيقة التي اكتشفتها انت . ونحن نقول يا ليتك صبرت حتى اعدت النظر فيما خطر لك وروّيت في فكرتك هذه قبل ان اذعتها فان سماء الفكر كالسماء التي فوق رؤوسنا والخواطر التي تمرُّ

(١) والهاء البرائية المتطرفة هي الالف المقصورة في العربية

في هذه كالنيوم ذات الالوان الجميلة التي تمرُّ في تلك لا تلبث احياناً كثيرة أن تتقشع وهيهات ان ترجع كما كانت اولاً

وقبل ان اذكرك بما لا اظنه يخفى على علمك عند تروّيك اسألك هل وجدت احداً من المشتغلين بمثل بحثك بين علماء الفرنساويين او الانكليز او الالمان او الايطاليان يقول بقولك هذا إي بردّ ضمير الغيبة وادوات التعريف في العربية وغيرها الى فعل الوجود العراني اصلاً لها جميعها . انا اشكُّ في انَّ احداً يقوى على هذا القول او يقدم عليه غيرك

ايها المحترم انت تعلم من غير ان اذكرك أن ثم مذهبين في اللغة مذهب التوقيف ومذهب النشوء والارتقاء . اما مذهب التوقيف فقد جاء عنهُ في كتابنا نحن المسيحيين ما يأتي :

وجبل الربُّ الإلهُ من الارض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء فاحضرها الى آدم ليرى ماذا يدعوها وكل ما دعا به آدم فهو اسمها فدعا آدم باسم جميع البهائم وطيور السماء وجميع حيوانات البرية . واوضح من ذلك ماجاء في كتاب اخواننا المسلمين . (وعلَّم آدم الاسماء كلها . . .) « ٣١ البقرة » . . .) . الواضح من هذين الاقتباسين انَّ الذين يأخذون بمذهب التوقيف يرون ان الاسماء قبل الافعال . والضمير من الاسماء ومن اقدمها واخصها . وهذا عند التأمُّل ينافي ما زعمتهُ اي ان ضمير الغيبة مقتطع من هوه او هيَهْ « الفعل المهات في العربية والدال على الوجود المطلق »

واما اذا ذهبت مذهب النشوء والارتقاء فما اظنهُ يخفى على علمك ان هذا المذهب يقدّم الاصوات الطبيعية الدالة على الانفعالات والأعراض النفسانية على الاسماء والافعال والحروف ولا تزال لغة الحيوانات مقصورة على هذه الاصوات . ثم اضيف اليها الاشارة ولا تزال الاصوات والاشارات اهم جزء في لغات بعض منحطّي الشعوب الهمجيَّة لحد هذه الساعة وقلَّ ما عندهم من المجرّدات العقلية . ولعلَّ معظم افاظهم ما اخذوهُ عن الاصوات الطبيعية او ما اشتقوهُ منها واقرب ما يُمثَّل به قاقَت الدجاجة وزقزق العصفور

واكثر الاصوات دلالاتٍ هو هذا الصوت « ها » فانهُ للتنبيه وما يترتب على التنبيه بدلالة القرائن . ومن ادوات التنبيه ادوات النداء وهي آ . وأيا . وهَا . وهَيَا . واي . والهمزة وكلها تحوُّلات من « ها » والنداء بواسطة القرائن الطبيعية والعقليَّة ينقلب الى اغراء او استغاثة او تعجُّب . او تحيُّر . او تدلُّه . او توجُّع وتحسُّر . او ندبة . وكل هذه الاغراض وفوقها اغراض أخرى ومن جملتها التعريف مما يُدلُّ عليه بهاء التنبيه . واي شيء ادل على التعريف من هذا الصوت المنبّه والاشارة . قل اعطني . ها كتابي واشر اليه . قلها واشر الى زيد تفهم من الجملة الاولى مقصود القائل باسرع

واقل كلفة مما لو قلت اعطني الكتاب ولم تشر . بل ومما لو اشرت لكن أخّرت اسم الاشارة . وتفهم من « ها زيد » مع الاشارة ما تفهمهُ من هذا زيدٌ والصورة الاولى أسهل على اللفظ من الصورة الثانية اذا لم تشر بيدك او برأسك او بعينك

فالها اذن هي حرف التعريف ومع الايام انقلبت الى همزة للتخفيف وذلك من عهدٍ غير بعيدٍ كما بيّن ذلك العلامة جويدي في محاضراته لطلبة الجامعة المصرية وجُمعت في كتاب أرجّح انهُ وصلك واطّلعتَ عليهِ في حينهِ . على انها لا تزال على الالسنة بصورة « هل » على الاصل ولا تقطن لذلك

اذا كانت « ها » هي الاصل في اداة التعريف فمن اين او كيف جاءت اللام في لغة مضر والميم في لغة حمير ؟

انا لا اشكّ أن قد كنا نحن واخواتنا السريانيون نستعمل نفس الاداة الواحدة اعني « ها » مدّات متطاولة غير أنّ السريان دوّنوها في اقدس الكتب واقدمها فثبتت على الالسنة كما هي واما عندنا فكانت تخفّف او تبقى على لفظها

وكانت « الها » وحدها او مخففها عندنا وعندهم على السواء ولا يزال الحال على ذلك الى الآن مع الحروف المسمّاة بالشمسيّة . فانهم كما يقولون « هشّمايم » ونقول نحن أسّماوات واسّما مع الحروف القمريّة فهم يقولون هَا « آرض » ونحن نقول أل « أرْض » اي هم يقفون على حرف المد واسّما نحن فنقف على حرف الغنّة . وحروف الغنّة ثلاثة اللام والميم والنون ومعنى الوقف عليها انّا نقلب حرف المدّ الى حرف غنّة

والحسّ يَشْهَد أن الوقوف على حرف الغنّة بدلاً من الوقوف على حركة الاشباع مع الحروف القمرية هو اسهل على النطق وأشهى في السمع فليراجع كلّ شعورهُ في لفظ « هَايحْر وهاكْتاب » ولفظ « هَلْ بحْر وهَل كْتاب » او « ألْ بحْر » و « أل كْتاب » . انّ السريان مَسْمَعَهُم المدوّن في كتاب مقدّس مفروض عليهم أن يقرأوا كل يوم آيات كثيرة منهُ فتحجّرت الاداة عندهم دوننا فانها بقيت حية فتغيّرت الى ما يوافق بداهة الفطرة اي الى ما هو أسهل نطقاً واحسن او اشهى في السمع وقعاً كما ذكرنا . فوقف المصريّون على اللام ووقفت حمير على الميم وخُفّفت الهاء الى الهمزة ولكنها بقيت على الالسنة لحد هذه الساعة عند كثيرين ومن جملتهم فيما أرجح الاب انسطاس وإنْ لم يفطن لذلك . مَنْ لم يقل منا « أعْطني هَل كْتاب » . لان في الهاء ظلاً من المعنى لا يؤدّى بمحوّلتها اعني بالهمزة . ولهذا القلّ عاشت هل ايضاً لكن على الالسنة وهم يحسبونها من قبيل استعمال العامة المرفوض عند محبي العربية والمحافظين على فصاحتها

الهمزة اداة تعريف بعد الهاء

أيها الاب المحترم . رأيناك في هذا الجزء من المقالة ربطت ضمير الغيبة بفعل الوجود العبراني هَوَه يَهْوَه[1] او هَيَه يهيه الذي قلت انهُ كان مشتركاً بيننا وبين اخواننا العبرانيين وزعمتَ ان هذا الضمير مقتطع منهُ . وعذرك في ذلك ظاهرٌ لامكان هذا الاقتطاع بسهولة. ثمَّ زعمت أنَّ « ها التعريف المشتركة كانت بيننا وبينهم مقتطعة من هذا الضمير المقتطع من الفعل وهذا هو السبب في دلالتها على التعريف وقد رددنا عليك هذا واعذرني اذا قلت هذا التخبط الذي توصلت بهِ الى اكتشافك الغريب الذي صرَّحت انهُ لم يسبقك اليهِ احد ونحن نسلم لك بحق هذه السابقيَّة ونعتقد انك ستبقى فيها سابقاً ومتكرراً معاً ولك عذرك فيهِ لانك رأيتَ رابطاً لفظيًّا يربط هذه الهاء وضمير الغيبة بفعل الوجود هذا ولكن ما هو الرابط بين ما كنت فيهِ وبين ما وثبت اليهِ في هذه الترويسة واليك ما قلتهُ بالحرف الواحد :وهكذا فعل اسلافنا فانهم حوَّلوا الهاء همزةً واخذوا ينطقون بها عوضاً عن الهاء .وقد شاع ذلك في نحو الثلثة الثالثة قبل المسيح — وقد وصل الينا من ذلك قول المؤرخين الاقدمين « اطورية » اي الجليلية بتقدير البلاد فالاطوريون « جيليُّون » واسمهم مشتقٌ من الطور بمعنى الجبل لعم انَّ هناك رجلاً انتسبوا اليهِ وهو يطور او إطُور من ابناء اسمعيل (راجع سفر اخبار الايام الاوَّل) الاَّ انك تعلم انَّ ابناء الاقدمين كانت تتخذ بالنظر الى ما سيكونون عن امرهم طالع معنى «فاشين وحابيل وشيث ويوسف الى غيرها وتمدّ بالعشرات بل بالمئات » انتهى قولك بحرفهِ

فما دخل هذه القطعة هنا وعلى هذه الصورة ايضاً بالموضوع الذي كنت فيهِ ؟ واغرب منهُ ما جاء لك بعد ذلك من شرح اداة التعريف عند اليونان وصلتَ فيهِ من الهمزة الى « التاء مضافة الى حرف معوّت هو « O » فنشأ من اجتماعهما « تو To » اما الحقيقة فاداة التعريف هنا هي التاء لاغير . اه »

ثمَّ سألت نفسك من الآخذ عن صاحبهِ نحن ام اليونان ؟ ورجّحت جانب اليونان. الاَّ أنك عدت فختمت سؤالك بقولك « اما انَّ الناطقين بالضاد اتخذوا التاء اداة للتعريف في زمن من الازمان . فهذا مالا ترتاب فيهِ كما شرحهُ لك الآن . اه »

التاء او الثاء اداة تعريف في العربية القديمة

راجعت شرحك كما هو تحت هذا العنوان عدَّة مرَّات وبكل اسف اقول لك انهُ يصعب عليَّ ان اصارحك بما شعرت بهِ بعد تلك المراجعات ولكني اكرّر هنا ما قلتهُ

(١) الهاء العبرانية المنطوقة في الالف المقصورة عندنا

قبلاً وهو باليتك لم تُولِع بردّ المفردات اليونانية واللاتينية الاحادية الهجاء او الثنائية الى اصول عربية ولا وضعت مبدأك الذي اوصلك من Volpes الى عُلْب الى ثَعْلب او ثَعْلب الى انّ التاء او الثاء حرفا تعريف : ثم دعمت برهانك او ايضاحك على صحة ما زعمت لجاء هذا على شاكلة كل ما سبقهُ او تأخّر عنهُ في مقالتك. والى القارئ الصابر ما قلت : « وتاء التعريف بالمثنّاة او ثائهُ (بالمثلثة) باقية في الفاظ كثيرة عربيّة لا يكاد يفطن لها المتكلم لتعوّدهِ النطق بها بلا فكرة فامثلة التاء المثنّاة التَّثْعْلب ومعناهُ الثعلب او كما صحّحها كثيرون : جرو الثعلب واصلهُ « الطفل » وهو الولد الصغير من الانسان والحيوان : فلا جرم ان اصل الكلمة « تطفل » او الطفل طفل الحيوان ثم غيروا شيئاً من التركيب وقالوا تثْفل وخصّوهُ بجرو الثعلب . ثم جئتَ في آخر هذه العبارات بما قالهُ التاج : (واللسان ايضاً) قال شيخنا اتفق ائمّة اللغة والصرف قاطبة ان التاء الاولى في اوله زائدة على ما عرف في الأوْزان الصرفية له . فهذه شهادة واضحة على ان التاء زائدة لكنهم لم يعلموا انها كانت للتعريف واخذنا اليوم نقول : التثفل « اي الـ الطفل » باداتين للتعريف اداة قديمة (التا) واداة حديثة (ال) كما يقول الفرنسويون اليوم : La Al Coran . انتهى النقل عنك بالحرف الواحد

فمن يقوى غيرك ان يستنتج كما استنتجت ويمثّل كما مثلت. أإذا كانت التاء في تثفل زائدة أفيكون ذلك برهاناً على انها للتعريف ؟ واذا كان الفرنساويون يدخلون « لا » على الاعلام والمعارف بلغة غيرهم افيقوم هذا دليلاً عندك على ان (ال) عندنا تدخل على المعرّفات (بأل) في لغتنا ؟ ولم تكتف بالتثفل وهو لفظ قلما يدور على الالسنة وقلما قرأه اديب في كتاب ادب ايضاً فزعمت ان (تاء) تماح . وترمس . وتنضب . وتذرح وترعوت . وتذنوب هي ادوات تعريف ولم تبالِ بروح العربية الساري فيها منذ القدم الى الآن اي انها لا تدخل ادوات التعريف لا على ما فيهِ « بأل » التعريف فقط بل على المعارف اجمالاً . ولم تكتفِ بذلك بل زعمت ان التاء محوّلة عن التاء تكون حرف تعريف بعد ان كنت جعلتها اسوة بالتاء في اصالتها كما هو ظاهر مما ذكرتهُ في (الرقم ٤)

واغرب ما في هذا الرقم ما ختمتهُ بهِ مما لا يمكن لي ولا لغيري فيما اظن ان يُعبّر عنهُ مما اتيت انت بهِ واليك هو بحرفهِ: « بقي علينا ان نذكر معنى الثعلب فان الباحثين عن اسرار اللغة لم يصلوا الى حقيقة سبب هذه التسمية فلو علموا انها عربية الوضع لعلموا انها مشتقة من الثَّلْب وهو الرجل الذي لا يطمع فيما عنده وذلك لدهائهِ والثَّلْب هنا كالثَّلْب في الثلب لكل من يناوئهُ والثعلب هو كذلك فانهُ معروف بدهائهِ حتى انهُ ليضرب بهِ

المثل : فانظر كيف ان اللغة العربية تهتك لك استار الاسرار وتفتح لك مقفلات المعاني. انتهى

لا ايها الاب العلامة ليس العربية هي التي هتكت استار هذه الاسرار بل انت الذي هتكتها . وهنا اقول اني استغربت منك انك اكتشفت ان التاءات الزائدة في تمساح وترمس وتنضب وتذرح وترنموت هي اداة التعريف وغفلت عن ان تحسب الياءات الزائدة في يربوع ويعفور ويعبوب ويرقود ويسوب الخ اداة تعريف مع ان ردّها جعلها الى تلك الاداة اسهل على الذهن واقرب الى القبول من ردّ تاء تمساح وترمس وتاء تُرمة

اللام اداة اخرى للتعريف

قلت ايها السيد تحت هذا العنوان ان سلفنا « كانوا يستعملون الهاء ما داموا مخالطين للعبرانيين . ثم نطقوا بالهمزة والتاء حينما كثر اختلاطهم باليونان ذلك لان هذين الحرفين اهون في التلفظ من الهاء فاما ان يكون السلف نفسهُ احدث هذا التغيير واما انهم تلقوه عن اليونان . لكن بعد ذلك تغلب الرومان على الشرق الادنى فاتخذوا لهم اداة اخرى لمثل تلك الغاية . وتلك الاداة هي اللام التي لم تظهر الا بعد اختلاط بني يعرب ببني الاصفر (الرومان) وانت تعلم ان ليس في اللغة اللاتينية اداة تعريف بل يستعملون اداة الاشارة Ille باختلاف صيغها اذا اضطروا الى مزيد في التعريف والتحقيق فيقولون مثلاً Ille Homo اي هذا الرجل اذا ارادوا تعريفهُ . فاستعمل السلف نفسهُ اللام التي هي الحرف البارز في الكلمة اداةً لهذه الغاية فقالوه لرجل انتهى النقل عن الاب . وبيان خطإ الاب هنا مما يطيل نقدنا لحد لا يطيقهُ صبر اكثر القراء ولكني اقول ان من يتروّى مقالة الاب هذه ومقالتهُ التي ادرجها في الهلال ورددنا على بعض ما فيها لا يعجب من غرابة مكتشفاته فقط بل يعجب من مقدرته على عدم توخي الصراحة كأنما هو قد درس فن التوجيه البياني درساً خاصًّا فيختار من ثمَّ العبارات التي يدفع بها اعتراضات الناقد مهما كانت ويظهرهُ بمظهر مَن لا يُحسن فهم فحوى الكلام ولا اقول هذا افتراء على علامتنا العامل الفاضل فانظر كيف بدا كلامهُ في هذا العنوان مما يوهمك ان العرب اخذوا التعريف بالالف والتاء عن اليونان فلما وصل الى آخر ما جاء به ليحدث هذا الايهام عاد فقال إمَّا ان يكون السلف نفسهُ احدث هذا التغيير واما انهم تلقوهُ عن اليونانيين

وهكذا فعل ايضاً لما اراد ان يقول ان العرب اخذوا التعريف باللام عن الرومان فانهُ عاد في آخر عباراته فقال « فاستعمل السلف نفسهُ اللام التي هي الحرف البارز في الكلمة اداةً لهذه الغاية . ولو استمرَّ على صراحته لكان ينبغي ان يقول (هذه اللام) لا « اللام » وفي « كلمهم » او لفهم لا في « الكلمة »

واخيراً ادعى الاب ان هذا الحرف (ولكن من يعرف اي حرف يريد الاب هنا؟) « قد وصل الينا في الرقم التي وجدها الاثريون في ديار العرب » . من ذلك الرقيم الذي وجده المنقبون عن امرئ القيس البدء واظن الاب يشير الى ما ذكره عن هذا الرقيم العلامة الاستاذ جويدي في محاضراته للجامعة المصرية المطبوعة في مجلة تلك الجامعة منذ ما ينيف عن خمس عشرة سنة

ايها المحترم ان العلامة جويدي يقول — وفي عصرنا عثر المسافرون على كتابات وجيزة خطت على الصخور في النواحي التي بين دمشق والعلى ولغة هذه الكتابات هي العربية القديمة وغالبها كتابة خطت على قبر ملك اسمهُ امرئ القيس الذي مات سنة ٣٢٨ ب . م ويقول ايضاً ان التعريف في كتابات العلى هو بحرف الهاء لا بالالف واللام وتاريخ هذه الكتابة سنة حرب نبط اي في اوائل القرن الثاني المسيحي كما اشرت انت الى ذلك نقلاً عنهُ في الراجح. وبنو الاصفر كانوا في ذلك الحين قد مرَّ عليهم في مخالطتهم بني يعرب مئة وخمسون سنة ونيف ومع ذلك كانت اداة التعريف فيها الهاء واما الكتابة على قبر امرئ القيس البدء فيختلف ما ذكرتهُ انت عنها عما ذكره العلامة جويدي . أنت قرأت او نقلت

في نفس مر القيس بن عمر ملك العرب ذو اسر التاج وملك الشعوب ووكلهُ لفرس ولروم فلم يبلغ ملك مبلغهُ. واما العلامة جويدي فيقول عنها انها مكتوبة بالاحرف النبطية ولكنهُ يكتبها بالعربية وقد كتبها هكذا

في نفس امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كلهُ ذواسر التاج (أَسَر . لَبَس) وملك الاسدين ونزار وملوكهم وهرب مذحج — وملك ابنهُ (وهنا اسمان لا يقرآن) الشعوب ووكلهم فراس للروم (وكلهم جعلهم) فلم يبلغ ملك مبلغهُ هلك سنة ٣٢٨

يظهر ايها الاب ان قراءة جويدي لا تتفق مع قراءتك في ادخال اللام على (فرس) وتكتبها (فراس) ومن الفعل وكلهم اي جعلهم قبلها يظهر ان اللام في (للروم) هي حرف الجر المعروف لا اداة التعريف والذي اراه انا أيها الاب (١) ان قراءة العلامة جويدي اتم من قراءتك وأخلص من شائبة الغرض الظاهرة اظلالهُ في قراءتك او نقلك (٢) لي رأيي الخاص في قراءة اللفظة التي صوَّرها العلامة جويدي هكذا (فراس) واليك هو

ان في الخطِّ النبطي المكتوب فيهِ هذا الاثر صورة واحدة للفاف والفاء ومثل ذلك للسين والشين وهو خلوٌ ايضاً من علامة التشديد . وبناءً على ذلك يصح في هذه الصورة اي « فراس» ان تقرأ فراس. وفراش وفراس وفراش وكلها بالتشديد او بدونهِ وبفتح

الحرف الاول او ضمّه او كسره . وعندي اقتضاء المعنى الذي يناسب الفعل ، وجعلهم ، يجب ان نقرأها تُرَّاش للروم. وقُرَّاش جمع قارش اسم فاعل من قرش لاهله اي كسب او تجر ويكون معنى ازرقيم ان ابن امرء القيس الذي ملك الاسدين ونزار جعلهم اي الاسدين ونزار وملوكهم تجّاراً للروم كما كانت قريش قبل الرسالة بل قبل زمان هاشم جدّ الرسول تجّاراً للروم فانهم اخذوا من الروم الايلاف اي الاذن بالتجارة: فكانوا وهم تجار الحجاز بل العربية في ذلك الوقت يحملون تجارة اليمن وحضرموت ونجد وارض البحرين الى سوريا وفلسطين كما كان التدمريون من قبلهم . ولا شك ان ملوك الحيرة من اللخميين كانوا وكلاء على تجارة الروم يحملون العرب على نقل رقائق الهند واطياب حضرموت وذهب اوفير (ارض وبار) وارض بني عقيل ولؤلؤ البحرين من فُرَض خليج فارس الى تدمر ومن هناك الى الروم وربما كان عمالؤهم يبتّرون اليهم هذه الواردات واخصّها رقائق الهند واطياب حضرموت وخيرات اليمن عن طريق عدن الى النقبة ومنها الى سالع او البتراء

(٣) واخيراً اختم مقالتي هذه التي قد طالت جداً بفضل مدّعيات علامتنا الاب انستاس وذكره الآراء المتضاربة جنباً الى جنب على طريقة لا يضارعهُ فيها احد كما اشرنا الى ذلك . ومع انتقادي الشديد هذا على مدّعيات الاب في مقالته هذه لا ازال من العارفين بمقدار علمه وادبه وفضله

جبر ضومط

عن الجامعة الاميركانية في بيروت

في سبيل العربية

نشرنا في غير هذا المكان من (المقتطف) مقالاً ضافياً للدكتور ابي شادي استعرض فيه اهمّ المباحث الشاغلة للاذهان في هذا الوقت عن نهضة اللغة العربية ، وقد عقّب عليه بنقط تمثّل خلاصة بحثه رأينا ان ننشرها مستقلةً في هذا الباب لتكون اساساً للمناظرة او المناقشة لدى من يشاء من الباحثين والكتّاب. وهذه هي خلاصة البحث كما دوّنها:—

(١) يُرتقب ان تنشأ لغةٌ عالميةٌ بين اللغات الناشئة ، والراجح انها سوف تكون اللغة الانجليزية ، بيد انّ هذا لن يحول دون استمرار اللغات القومية ، كما انّ حبّ اللغة الوطنية لا يعني التجرُّدَ من الروح العالمية او ضعفها

(٢) اللغة العربية لسانٌ حيٌّ عظيمٌ ، ولها قدرةٌ مدهشةٌ على التوطُّن وعلى التكيُّف الاقليمي، فكونها لسانَ الامم العربية جمعاء لا ينافي اتخاذها لساناً وطنيًّا لكل

أمةٍ من تلك الامم، مصطبغةً في كلٍّ منها بالصبغة الوطنيّة التي تلائمها، كما هو شأنُ تكيف اللغة الانجليزية في بريطانيا وفي اميركا مع ان الاصل واحد

(٣) الجمودُ نحو العاش اللغة الوطنية والاستهتارُ سيّان في اضعافها، دون ان تكون من وراء ذلك ادنى فائدة للثقافة العالية ولا لخير الانسانية، لانّ الطبيعة البشرية لن تكتفي بلسانٍ مشتركٍ بل لن ترى مُغنياً عن الالسنة القوميّة لتكون مستودع اسرار الامم وملجأ احلامها وهمومها وامانيها، فالخيرُ كلُّ الخير في تفهُّم هذه الحقيقة حق لا نضيّعَ جهودَنا عبثاً، فنصون كرامة اللغة وكرامتنا

(٤) العنايةُ الحقّةُ باللغة تُحتّم ان تشمل جزئياتها وكلياتها على السواء في جميع المظاهر، لان التهاون في المسائل الجزئية قد يؤدّي تدريجيًا الى افساد الكليات. ومن اجل ذلك تكون اصابةُ الرأي والرجاحة في ان نحفل بكلّ ذي مساس باللغة من خطٍّ وترقيمٍ وطبعٍ وانشاء وتأليف الخ. لان كلّ هذا من المظاهر التي لها اثر في مكانتها بين اللغات بل وفي حياتها

(٥) لا فائدة من المباهاة بسعة الغربية ومن التعلّق بذلك إذ لا جدوى من هذه السعة النظريّة، وانما الفائدةُ الصحيحةُ والفخرُ المعقول يتصلان بنشاطنا في تطويع اللغة وحسن استعمالها وسعة تطبيقها في غير تطرُّفٍ او جمودٍ. ولغتُنا رحبةٌ طيّعةٌ، جديرة بالثقة بها، وقادرةٌ على مجاراة العصور كما يدلّ ماضيها الباهر في مدنيّات شتى. فان كان ثمّت قصورٌ فهو في طباعنا واذهاننا، وليس التعلّق بالفخر الكاذب الا نوع من القصور. وليست مجاراةُ الزمن شيئاً، ولا حرج منها على اللغة ولا مساس بكرامتها، وحسب مَنْ يشكّون في ذلك ان يتأملوا جهودَ جمعية فقه اللغة الانجليزية للتوفيق ما بين الهجائين الانجليزيّ والاميركيّ لاجل مصلحة اللغة ذاتها، دون ان يُعَدّ ذلك ماسًّا بكرامتها في شيء

(٦) تأليفُ المجامع اللغوية امرٌ ضروريٌّ لبثّ الحياة الدائمة في اللغة، وانما يتحقّق ذلك متى كانت هذه المجامعُ نيابةً تمثّل بيئات الثقافة المتنوعة وتعبر عن آرائها وتحقق رغباتها، لا ان تكون محافل تعيينية لا صلة لها مباشرة ببيئات العلم والادب الفعالة وكل ميزاتها أنها صورة ما تقضي به رغبات الحكام وحدهم!

(٧) القاعدة التقليدية في انشاء المجامع اللغوية ثم تقسيم هيئاتها الى لجانٍ اختصاصية صوريةٍ بُنافي طبيعة حاجتنا الملحة، إذ الواجب أن تكون هذه اللجان هي الاساس في صورة هيئات خارجية محترمة كلٌّ منها متخصصةٌ بعلمٍ او فنٍّ او أدبٍ، ثم يختار منها

المندوبون لتأليف المجمع اللغوي الذي يكون بهذه الكيفية مجمعاً نيابيًّا مسموع الكلمة قوي النفوذ شديد الصلة بثقافة عصره عظيم الاثر فيها ، وللمجمع بعد ذلك أن ينظم كيانه وأن يوزع جهوده كما يشاء ، ما دام الاساس النيابي الصالح محققاً

(٨) في الامكان عمليًّا توحيدُ جهود المجامع اللغوية في العالم العربي عن طريق المؤتمرات فضلاً عن المراسلة ، وقد خطت فعلا لجنة الاصطلاحات العلمية (للجمعية الطبية المصرية) الخطوة الاولى في هذا السبيل . وتدلُّ الظواهر على وجود رغبة عامة صحيحة في تحقيق ذلك ، وهذا ما يؤيده اختباري الشخصي

(٩) لم تنشأ مشكلة الترجمة والتعريب وما يحفُّ بهما من عقبات ومثبطات للعاملين الاَّ من تدخل غير المتخصصين في ما لا يعنيهم من شؤون اللغة ، وبذلك يسيئون الى اللغة التي يدَّعون الغيرة عليها كما يسيئون الى النهضة الفكرية . ولو اننا عنينا بتأليف الهيئات الاختصاصية المتنوعة وبتدعيمها وحفظنا لها وحدها الكلمة العليا في ما يخصها من ذلك لَحُلَّتْ المشكلة ووفر الانتاج واستفادت اللغة وشقيَّ العلوم والآداب ولهانت بعد ذلك اعباء المجامع اللغوية ، إذ سيكون جُلُّ العمل موكولاً الى تلك الهيئات وفي مقدمة ذلك تأليف المعاجم العلمية والفنية والادبية المتنوعة ، ولا تكون وظيفة المعاجم سوى توحيد الجهود ، والهيمنة اي الاشراف الاعلى عليها ، والتنظيم والاقتراح ، والحكم بينها في مواضع الاختلاف ، وتنفيذ رغباتها الناضجة في غير تعنُّت او إبطاء

(١٠) آن الأوان لخير اللغة والعلم معاً بأن نعترف (أسوةً بجميع الأمم المتقدمة) بوجوب استعمال لغتين عليتين : الاولى ذات مسحة أدبية قومية لتستفيد منها جمهرةُ المتعلمين من الحركة العلميَّة المتواصلة ، والثانية ذات مسحة دولية قوامها التعابير والمصطلحات العلمية السليمة المتعارف عليها بين جميع الامم الراقية لاجل خدمة المتخصصين بهذه العلوم ولاجل خدمة اللغة العربية العلمية ذاتها . وبناء على ذلك تكون الترجمة العلمية الادبية لنشر العرفان العام غير اللغة العلميَّة السليمة لخدمة اصول العلم ودقائقه في غير ما التباس . وعلى هذا النحو جرت جميع الامم القوية في عصرنا الحاضر ، وكلها تعتز بلغاتها كما تعتز بعريتها ، ولم تَرَ في ذلك الاَّ خير العلم والادب والانسانية . واما الاستشهاد بأساليب القدامى فيناقي بتاتاً ما تحتمُّه نهضة هذا العصر التي تشب وثوباً فوق كل خيال ، بحيث اتسعت دوائر البحوث العلمية اتساعاً هائلاً جعل قانون الاصطلاحات الدولية العلمية امراً لا مفرَّ منهُ توحيداً للجهود وحرصاً على نفائس العلم ، فان أبينا ذلك فنحن وحدنا الخاسرون